الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ م	فى مصر والسودان
٥٠	فى الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٧٠ | ٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ | السنة الثالثة

فهرس العدد

صفحة			
١١٣٨	ثورة العاجز	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ...
١١٥٠	بائعة البنفسج	للكاتب الفرنسى هنرى بوردو	بقلم الأستاذ صلاح الدين كامل ...
١١٥٣	هفوة	للقصصى الروسى تشيكوف ...	بقلم الأستاذ فيصل عبدالله ... ...
١١٥٦	هكذا الحب	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عزيز منصور ... ...
١١٦٥	ثلاثة على منضدة ...	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار ...
١١٦٨	أسد + نمر = ؟ !	أقصوصة أمريكية	بقلم الأديب محمد عصمة ... ...
١١٧١	الراقصة	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل
١١٧٤	فهرس السنة الثالثة ...	... ...	... ...

ثورة العـــاجز

[قصة حصلت على جائزة ٢٠٠ جنيه]

عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

« ماذا كنت تعمل لو أنك كنت أبا أو أما لهذه الفتاة التى وقعت فريسة لوحش أجنبى ؟ »

* * *

لو أنك ممن كانوا ، قبل اثنتى عشرة سنة ، يقرأون الصحف التى تصدر فى بلدتنا الاسكتلاندية ، لما كان لك بد من أن تقرأ قصة « ألك فوربس » ، فقد كان « ألك » رجلاً ذائع الصيت فى المنطقة ، وقد اكتنف الغموض قصته التى استرعت أنظار الناس إليها

ولكنت قرأت أن « ألك فوربس » الذى يملك فى البلدة حانوتاً لبيع الحديد ، ويملك فى المقاطعة كثيراً من العقار قد استدرجه رجل مجهول إلى مزرعة مهجورة معروفة باسم « مزرعة ميزور » وضربه ضرباً مبرحاً تركه بين الحياة والموت

وتلخص هذه القصة فى أن مستر فوربس لم يكد يغلق باب حانوته فى المساء حتى أقبل عليه رجل لا يعرفه وقال له إنه راغب فى ابتياع قطعة أرض من أملاكه واقعة فى طرف البلدة وسأله أيستطيع أن يرافقه لمعاينتها ، فأجاب فوربس طلبه واستقل معه سيارته فانطلقت بهما حتى إذا بلغا قطعة الأرض المقصودة دهش فوربس إذ رأى السيارة تجتازها مسرعة لا تقف ، وقد أشار سائقها فى كلمات مبهمة إلى قطعة أرض أخرى ، واستمر فى طريقه حتى بلغا مزرعة ميزور القديمة التى تبعد حوالى أربعة أميال من البلدة على طريق قليلة الاستعمال

وهناك وقف الرجل الغريب السيارة وأمر مستر فوربس أن ينزل منها ثم انهال عليه بالضرب العنيف ، ثم استقل المعتدى سيارته منصرفاً تاركاً وراءه الرجل فاقد الوعى دامياً

وفى ساعة متأخرة من المساء تلقى الدكتور مونتروز ، وهو الطبيب الوحيد فى البلدة ، رسالة تليفونية من سيدة لم تذكر اسمها ، أبلغته فيها أن حادثاً قد وقع فى « مزرعة ميزور » وطلبت منه أن يذهب فى الحال لإسعاف المصاب

وقد ارتاب الطبيب فى الخبر ولكنه لم يجرؤ على إغفال الطلب ، فاستقل سيارته إلى مكان الحادث وهناك دهش إذ رأى صديقه الرجل الطيب فوربس ماثلا على الأرض أقرب إلى الموت منه إلى الحياة

وأسرع الطبيب فى نقل صديقه المصاب إلى مستشفى قريب إذ لم يكن لينقذ حياته غير أمهر الجراحين ، ولما غادر المستشفى بعد حوالى ثلاثة أشهر كان يحمل إلى يمينه ساعداً تكاد تكون مشلولة .

وفى أسرع وقت ممكن سأل البوليس مستر فوربس عن معلوماته فى هذه الجريمة فأصر على القول بأنه لا يعرف ضاربه وأنه لم يره قط من قبل ، وأنه لا يعرف سبباً يدعو إلى هذا الاعتداء . ولم يستطع أن يصف المعتدى إلا وصفاً غامضاً لأن الساعة كانت

منتصف السابعة عند ما أغلق حانوته وكان الغسق قد هبط فعلاً

والظاهر أن إنساناً ما لم ير « فوربس » فى السيارة مع المعتدى عليه ، لأن بلدتنا صغيرة ومنتصف الساعة السابعة هو الوقت الذى تجلس فيه أغلب العائلات عادة على مائدة العشاء الأول . ولم يستطع البوليس أن يهتدى إلى معرفة الجانى لفقدان كل أثر يدل عليه ، ووجد نفسه حيال قضية غامضة

ولو أنك تابعت قراءة الصحف لعلمت أنه لم يمض على شفاء مستر فوربس بضعة أسابيع حتى باع ممتلكاته فى المقاطعة كما باع حانوته وسافر هو وزوجه إلى جنوب انجلترا . وقد تحدثت الصحف كثيراً فى أمر رحيله وعلقت فى لهجة العطف على ما أصبح فى حكم الواقع من أنه لن يسترد صحته كاملة من جراء الضرب العنيف الذى أصيب به

وفى الحق أن الإنسان كان يجد فى بعض نواحى هذه التعليقات من حين إلى حين ما يشير إلى الحقيقة المعروفة من أن مستر فوربس كان رجلاً عالى السمعة محترماً فى منطقته ، مقدماً فى كنيسته ، وكان أمين صندوق جمعية التجار ورئيس نادى الروتارى ، وكان من أكبر أعضاء نادى الصيد ومعضديه ومن أشد المتحمسين الرياضيين

وكثرت الإشاعات والتكهنات حول ما حدث لمستر فوربس ، وقليل من الناس من ذهب فى تكهنه إلى افتراضات حالكة ، ولكن أهل البلدة على الإجمال كانوا فى حيرة من الأمر ، وإلى هذا اليوم لا يزال بعضهم يعيد ذكرى هذا الحادث مقرونة بالدهشة ...

وليس فى العالم — عدا مستر فوربس نفسه — غير ثلاثة يعلمون حقيقة هذا الحادث ، وأنا واحد من هؤلاء الثلاثة ، وسأروى هنا القسم الذى لم يتكهن به أحد ولم يذكره إنسان قط

ولقد ظننت أول الأمر أن شفتى ستبقيان أبداً مطبقتين فلا تنفرجان عن كلمة فى هذا الحادث . ولكن حدث من عهد قريب أن قرأت امرأتى قصة حادثة مروعة فى ليفربول فأغرتنى بالكلام ، لأن خيراً كبيراً قد يتحقق من رواية قصة « إلك فوربس » على حقيقتها

فأنا أروى هذه القصة لأن كثيراً من أمثالها يحدث فى هذه الأيام ، وإنى لأعتقد أن كثيرات من البنات يوسمن بوصمة العار طوال حياتهن أو يصبن بجروح فظيعة فى نفوسهن لا يستطعن أبداً طمس آثارها ...

لهذا سأروى الحادث الفظيع الذى نكبت به أسرتنا ، وسأقص كيف كان لسلامة عقل امرأتى الكاملة وحكمتها الفضل فى أن تستطيع فتاة صغيرة استئناف الذهاب إلى مدرستها غير متعرضة للنظرات المتطفلة ولا للأسئلة والتعليقات المحرجة ، بل وقد استطاعت فيما بعد أن تتزوج وتذهب إلى زوجها ، وليس فى عينيها ما ينم عن العار . ومع ذلك فقد عوقب المجرم الفاسق أقسى العقاب على جريمته

نشأت أنا وامرأتى « فلورنس بيكر » فى هذه الناحية التى استقرت فيها حياتنا فيما بعد ، وبدأنا معيشتنا الزوجية فى مزرعة أبى على مسافة ثلاثة أميال من المدينة على التقريب . ويشق المزرعة نهير عرف بما يصطاد فيه من سمك اللوت . ومزرعتى — التى آلت إلىّ بعد موت أبى — واقعة على رأس

النهير بما يشبه الغور . وعلى الرغم من أن الناس كان يصطادون على مقربة من أرضنا فإنه كان من النادر أن يصل أحدهم إلى المزرعة ، إذ علموا أنني لم أكد أبيح الصيد فيها . كذلك كان القسم الذى يجرى من النهر فى مزرعتنا قصيراً جداً

وكان قد مضى علينا فى حياتنا الزوجية خمس سنوات اعتقدنا فى نهايتها أن العناية الإلهية قد حرمتنا نعمة الأولاد عندما رزقنا بابنتنا الأولى

وكادت امرأتى تموت عند الوضع ، وقال لها الطبيب إنه يجب ألا ترزق بأطفال أبداً . لهذا كان شعورنا نحو جين أو جينى كما سميت فيما بعد شعوراً غريباً على نوع ما

وإنى لأظن وإن كنت أباها الذى يتحيز لابنته أنها كانت حقاً طفلة بديعة . وعلى الرغم من أنها كانت طفلة قوية البنية فإنها لم تمل قط إلى السمن بل كانت دائماً رشيقة الجسم رقيقة ، مستطيلة الوجه قليلاً زرقاء العينين ضاحكتهما . ولما كانت طفلة كان شعرها شديد الميل إلى البياض ، وتحول لونه تدريجاً حتى إذا بلغت الحادية عشرة كان قد أصبح أصفر قاتماً يتدلى فى حلقات على كتفيها

ولعله غير خليق بى أن أبعد عن موضوعى لأسترسل فى هذا الوصف الذى لا علاقة له بالقصة الأصلية . على أن جينى كانت فتاة مملوءة حياة ولطفاً فكانت شمس حياتى وحياة أمها

وكانت امرأتى فلورنس سباحة ماهرة ولم تكن ابنتها غير طفلة عند ما علمتها السباحة . وبعد فترة من الزمن بنيت لهما حوضاً للسباحة على النهير بعيداً قليلاً عن الطريق العام تحميه فروع الشجر الكثيفة فكانت عادتهما التى لا يحيدان عنها أن يقضيا هناك جميع أمسيات أيام الصيف سابحتين غاطستين لاعبتين فى الماء ما تشاءان أو مستلقيتين على الشاطئ غافيتين أو مراقبتين سمك اللوت

وفى الصيف الذى وقع فيه الحادث الذى أرويه هنا كانت امرأتى قد أصيبت فى ركبتها ولم تكن لتستطيع السير إلا متوكأة على عكازين . لذلك لم تكن تستطيع أن تصحب جينى إلى البركة فكانت جينى تذهب وحيدة ، وكانت ترى كل يوم على التقريب وهى تسير بعد الظهر متجهة إلى الحوض حاملة رداء السباحة الأحمر القصير على ساعدها

وكانت تخلع ملابسها على الشاطئ بجوار الحوض وتلبس ثوب السباحة وتغطى جدائلها بطاقية من المطاط ثم تقفز إلى الماء

وفى مساء يوم من الأيام الأخيرة فى شهر أغسطس كنت جالساً فى الحديقة الخلفية عند ما وقفت سيارة خارج باب هذه الحديقة ، فلما نظرت رأيت سائقها هو مستر « الك فوربس » بائع الحديد ، ولم تكن علاقتى به تتجاوز علاقة البائع بالمشترى العادى ، ولكننا تكلمنا فترة فى المحصول وفى شؤون البلاد على وجه العموم كما يتحدث الرجال عادة . ثم سألنى ألدى مانع من أن أسمح له بالصيد فى منطقة النهير الواقعة فى أرضى داخل السور . فدهشت قليلاً لأنه كان معروفاً للناس جميعاً أننى لا أسمح لأحد بالصيد فى هذه المنطقة . فقلت فى أدب :

— إنى لآسف يامستر فوربس لأن هذه المنطقة هى الوحيدة التى نصطاد فيها ، وجميع أفراد الأسرة يحبون الصيد ، لذلك أحتفظ بها لنا خاصة

فقال الرجل فى لهجة المؤمن على كلامى المقتنع بجوابى :

— فهمت . . . على أنى كنت ماراً من هنا وظننت أن لا ضرر فى السؤال

ورأيت عينيه تحدقان فى الحقل فلما تتبعت نظراته رأيت جيني تحمل لباس سباحتها عارية الرأس وضاءة فى الشمس تسير متخطرة تقصد إلى حمامها اليومى . فسألنى الرجل :

— أهذه ابنتك الصغيرة ؟

فأجبته :

— نعم هذه هى جيني ، فهى تذهب للسباحة هناك ، وهذا سبب آخر من الأسباب التى تحملنى على عدم السماح للصيادين بالذهاب إلى هذه المنطقة . وامرأتى وجيني تحبان السباحة ولا يمكنهما أن يذهبا ويعودا فى حرية مطلقة إذا كان الصيادون يغشون المكان ويعكرون عليهما صفوها

فقال :

— لا شك فى أنك على حق ، والآن فلأذهب فقد كان خطر لى أننى أستطيع أن أصطاد فى هذه المنطقة لعلى أظفر بشىء من السمك

وأسرع الرجل إلى سيارته فاستقلها ومضى ، ولم يلبث أن غاب عن نظرى وراء منعطف الطريق . وفى تلك الليلة رويت ما حدث ونحن جالسون على مائدة العشاء فنظرت إلى جيني فى دهشة وقالت فى لهجة ساخطة :

— ولكنى واثقة يا أبى من أنه كان يصطاد ، لأننى عند ما عدت إلى البيت عدت من الطريق العام وكانت سيارته واقفة على مقربة من النهير ، ولكنى لم أره فى أى مكان

وكان من الطبيعى أن يضايقنى ما سمعت بعض الشىء لذلك صممت على أننى فى أول مرة أذهب إلى البلد أقصد إلى حانوت مستر فوربس لأفهمه أننى أعد عمله تحايلاً غير لائق

ولست أذكر بأى شىء كنت مشتغلاً فى اليوم التالى ولعلى كنت أتسكع من مكان إلى مكان غير قادر على عمل أى شىء لأن اليوم كان شديد الحرارة . فلما عدت إلى البيت فى منتصف الساعة الخامسة لأشرب قليلاً من ماء الشعير المبرد الذى كانت فلورنس تعده غالباً فى الأيام الحارة . وكانت فلورنس جالسة فى الشرفة مسندة ساقها المعصوبة إلى كرسى صغير واضعة عكازها إلى جانبها مشتغلة بنوع من الحياكة فجلست على السلم وشربت قليلاً من الشعير وبدأنا نتحدث

وبعد برهة سألتنى فى أية ساعة نحن فلما نظرت إلى ساعتى وجدتها قد بلغت الخامسة فأجفلت امرأتى وقالت :

— الساعة الخامسة ! يا لله . . . ترى ما الذى أخر جيني عن العودة حتى الساعة ، فقد ذهبت إلى البركة منذ الساعة الثانية

فقلت فى بساطة :

— لعلها منهمكة فى جمع بعض الأزهار البرية

ولم يبد على أحدنا شىء من القلق أو الاضطراب فقد كنا نعلم أن فتاتنا تحب الخلاء وأنها تستطيع دائماً أن تجد وسيلة لتسلية نفسها

وتحدثنا فترة أخرى قصيرة ثم إذا امرأتى تصيح جافلة مرتاعة :

— ما هذا؟ ها هى ذى جيني فانظر إليها! وما من شك فى أنها قد أصيبت بأذى ما . آه يا ماك ماذا أصابها ؟

فوثبت واقفاً على قدمى ونظرت إلى حيث كانت

امرأتى تنظر، وهناك رأيت ابنتى الصغيرة تجر نفسها فى بطء وسط المرعى . ولم أستطع أن أتبين الحقيقة ، ولكنى حتى مع بعد المسافة قد توكدت أن ضراً قد أصابها ، فجريت صوبها . وقبل أن أصل إليها بمسافة بعيدة تبين لى أنها عارية عن جميع ملابسها . وقد سقطت عدة مرات قبل أن أدنو منها، ولا أظن أنها حتى قد رأتنى فقد كان رأسها مائلاً على صدرها

ولست أدرى ما الذى تخيلته وأنا أجرى فى المرعى الذى بدا لى على حين فجأة أنه قد اتسع أميالاً عديدة ، وكل ما أذكره أننى عند ما ضممتها بين ساعدى سمعتها تلفظ بعبارات متقطعة تنم عن القهر والأسى ووجدت جسمها دامياً يحمل آثار العنف

ولم يظهر أنها قد شعرت بوجودى قبل أن أحملها وعندئذ قالت فى صوت خافت : « آه يا أبى ! » ثم فقدت شعورها فقداناً تاماً

واتكأت امرأتى على عكازها وأقبلت علينا . وكادت هى أيضاً تفقد صوابها ويغمى عليها عند ما وقع نظرها على الطفلة المنكوبة ، ولكنها تماسكت فى الحال ودرجت وراءنا بأسرع ما تستطيع وأنا حامل الفتاة بين ساعدى عائد بها إلى البيت . واشتركنا فى غسل جسم جينى الصغير ثم استعنت بالمقاقير على إفاقتها . وخلال هذا الوقت كانت أعيننا الهالعة تنبئنا عن حقيقة ما حدث . فقد وقعت ابنتنا العزيزة التى لا تكاد تتجاوز سن الطفولة فريسة بين يدى وحش آدمى

ولست أدرى ماذا قلنا ولكننى أذكر أن وجهينا كانا متجهمين ونحن نعالج ابنتنا المسكينة . وأعلم أن شهوة القتل قد تملكت قلبى ، ولن أنسى ذلك المعنى الذى تجلى فى عينيها عند ما عاد إليها صوابها . فقد نظرت إلينا نظرة فيها من أمارات الرعب مايعجز اللسان عن وصفه ـ فالهم لا تحكم على بأن أرى هذه النظرة فى عين أى مخلوق بعد الآن ـ لقد كانت نظرة هول ويأس قاتل . ثم وقع نظرها على وجه أمها فاندفعت فى البكاء

وحاولت أن تنهض من فراشها وتضرب بنا بيديها الصغيرتين وهى تصيح مرددة هذه الكلمات :

— بالله لا تفعل . . . أرجوك ألا تفعل . . . آه يا أبى أين أنت ؟

فشرعنا نلاطفها فى كلمات رقيقة حتى استطعنا أن نهدئ من روعها ، ولكنها لم تلبث أن هبت جالسة فى سريرها وعاودت الصياح والبكاء . ولم نسألها عن شىء ولم نحاول أن نستخلص منها شيئاً . فقد كانت الفكرة الغالبة علينا هى أن نحملها على النوم ، لعلها بعد أن تستيقظ يكون أثر الرعب قد زال من عينيها . حتى إذا توكدنا آخر الأمر أنها قد استغرقت فى النوم تسللنا من الغرفة فى هدوء

وقلت لامرأتى متجهماً :

— والآن سأذهب لأخطر البوليس وأدعو الطبيب .

فوضعت فلورنس يدها على ساعدى وقالت :

— انتظر

فنظرت إليها مندهشاً من تفكيرها فى الانتظار حتى ولو لحظة واحدة . ولكنها مضت تقول :

— انتظر يا « ماك » إذ يجب أن نبحث هذا الأمر بيننا

فقلت فى خشونة :

— ليس هناك ما نبحثه أو نتحدث فيه. فأبلغ البوليس والجيران ثم نبحث فى كل مكان حتى نجد

المجرم الأثيم فإذا ما وضعت يدى عليه قتلته

فقالت فلورنس مرة أخرى فى صوت خافت حتى لا توقظ جيني :

— انتظر يا « ماك » ! وقل لى ألا ترى أنك لا تستطيع أن تفعل ذلك ؟ فكر فيما يصيب جيني من جراء ما تريد أن تفعل . فهى لن تستطيع تحمل عواقبه ، وأول واجب علينا أن نفكر فى مستقبلها

فصحت وقد تملصت من قبضتها :

— أتريدين أن أترك هذه الجريمة تمر دون أن يعاقب المجرم ؟

فصاحت وقد تمثلت عواطفها الثائرة فى صيحتها:

— أنا لا أبالى بالعقاب ، ولا أبالى بأى شىء غير جيني . إنك لن تفعل ذلك فتؤذيها به . فهى لن تنسى هذا الحادث الفظيع إذا عرف الناس به ، فسيشير إليها كل إنسان باعتبارها ضحية اعتداء شرير ، وستنشر الصحف كلها الخبر ، وسيلازمها العار طوال حياتها ... ألا فلتصدقنى يا « ماك » ، فإنى أعرف ما أقول ! فقد كنت أذهب إلى المدرسة فى وقت من الأوقات مع فتاة أصيبت بمثل هذا الحادث . وثق يا « ماك » أن تلك الفتاة قد عاشت عيشة فظيعة مروعة أعواماً عديدة بعد وقوع الحادث ! لا يا « ماك » إنك لا تستطيع أن تفعل ذلك . فمن أجل جيني يجب أن نعالج هذا الأمر فى هدوء وتريث

فصحت صيحة عنيفة ناسياً طفلتى النائمة :

— وأنا أقول إن هذا الأمر لن يمر فى هدوء ! فإننى لن أستطيع أن أنام بعد الآن وهذا الوحش مطلق السراح يتنقل من مكان إلى مكان

فصاحت امرأتى غاضبة :

— ومن ذا يهمه إن كنت تنام أو لا تنام ؟ ومن ذا يهمه ما تفكر فيه أو تفعله أو تقوله ؟ ومن ذا يهمه أمر هذا الوحش الذى اعتدى على ابنتك إن كان يحوم حول هذا المكان أو ذاك ؟ إنى أطلب منك ذلك من أجل ابنتى ... إنى لن أسمح بتدمير حياتها لأنه لا ينبغى أن تروى قصة عارها للعالم ، فتصبح وكل إنسان يتهامس عليها وينظر إليها نظرة التطفل

وقفت أنا وامرأتى شاحبى اللون ثائرين يتحدى أحدنا الآخر للمرة الوحيدة فى حياتنا الزوجية . ثم أعادت لنا هدوءنا أنة خارجة من غرفة النوم . فقد كانت جيني تبكى وتحدث نفسها فى نومها . وأظن أن الكلمات القليلة التى سمعتها منها إذ ذاك قد حملتنى على أن أتبين لأول مرة أن فيما تقوله امرأتى شيئاً من الصواب

وكانت جيني تقول وهى نائمة فى أنين موجع :

— أبى ... أبى ... لا تترك أحداً يؤذينى

وبينما أنا جالس أربت على يدها الصغيرة تبين لى مبلغ الأذى الذى يلازمها طوال حياتها إذا عرف الناس قصتها ، وظهرت لى فظاعة ذلك لو حدث . فلن يهم الناس أنها كانت فريسة بريئة . فالأمر هو ما قالت فلورنس ، ستلازمها القصة طوال حياتها وسيتهامس الناس عليها ، ويتفكهون بحديثها . وقد يؤدى عملى إلى سحق حياتها إلى الأبد ، ويحتمل ألا يقبل أى رجل الزواج منها ، إذا نشرت الصحف قصتها ، وهو ما لا بد من حدوثه إذا عرفت القصة وتحدث بها الناس

ولما تسللنا أنا وفلورنس من الغرفة مرة ثانية طوقتها بساعدى وقلت فى تلطف :

— إنك على حق فأنا لا أستطيع أن أسبب لجيني مثل هذا الأمر

وكاد يغمى على فلورنس من فرط ارتياحها، فلما حملتها إلى غرفة نومنا راعنى ما رأيت من شحوب لونها وأمارات المرض التى بدت عليها

وإذا كنا قد عددنا تلك الليلة فظيعة فقد كان الأسبوع الذى تلاها أفظع منها ألف مرة . فقد بقيت جيني فاقدة الرشد مرتفعة الحرارة فترة من ذلك الأسبوع . وفى إحدى الليالى رجوت فلورنس فى أن تسمح لى بدعوة الدكتور مونتروز ، مصراً على القول بأن الأطباء لا يفشون أسرار مرضاهم ، فثارت علىّ ثورة اللبؤة تدافع عن أشبالها ، وقالت :

— قد لا يفشى بعض الأطباء أسرار مرضاهم ولكن هل تضمن لحظة واحدة أن الدكتور مونتروز يمكن أن يحتفظ بهذا السر لنفسه ؟ إنه سيجرى إلى بيته فيخبر به امرأته ، ومن المحتمل أن تنشر هى هذا الخبر فى كل مكان . فأرجو يا « ماك » ألا تدعوه وانتظر حتى صباح الغد ، فإذا لم تتحسن حالة جيني فسأطلب منك دعوة أحد الأطباء

وكانت امرأتى تقول هذا الكلام فى لهجة الرجاء وقد بدا عليها أثر التعب والألم

وفى صباح اليوم التالى بدأ التحسن فى صحة جيني ، واطرد التحسن يوماً بعد يوم ، ولكنها لازمت فراشها شهراً كاملاً قبل أن نستطيع حتى حملها لنجلسها على كرسى فى الشرفة ونسندها بالوسائد وكنا فى الوقت نفسه نجيب الجيران والأصدقاء ، القليلين الذين زارونا فى تلك الفترة التى كنا نعيش فيها فى شبه عزلة ، بأن جيني قد أصيبت بالتهاب فى الغدد ، وأن الإصابة كانت شديدة لذلك طال الوقت قبل تماثلها للشفاء

ولم نكن فى أثناء هذه الفترة قد سألنا الطفلة عما حدث لها ولكننا استطعنا أن نفهم مما كانت تهذى بها فى نومها وفى أثناء النوبات التى كانت تصيبها أن ما تصورنا أنه أصابها كان هو الحقيقة الكاملة . والظاهر أنها كانت قد انتهت من حمامها وبدأت ترتدى ملابسها عندما هاجمها المجرم وافترسها وقد قضيت أنا وامرأتي ساعات طويلة مرعبة نتلظى بنار الألم من جراء هذا الحادث الذى بقى حياً فى أحلام ابنتنا . ولكننا لم نستطع فى أثناء ذلك الوقت كله أن نقف على أى أثر يدل على الفاعل ولم نستطع كذلك أن نقرر إذا كان واحداً ممن تعرفهم الفتاة . .

ولم نكن نتركها وحدها عندما تكون مستيقظة بل كنا نلازمها على الدوام ، حتى إذا أصبحت قادرة على الإصغاء شرعنا نقرأ لها قطعاً من الأدب والشعر الذى كانت تحبه ، وكنا نتحدث معها فى أمور طفيفة لا تشغل بالها ، وهكذا كنا نشغل فكرها بنوع ما من التفكير طوال ساعات يقظتها

واستردت الفتاة حالها الطبيعية تدريجاً وبدأت تستيقظ هادئة وقد زال أثر الرعب من نظراتها ، وعند ما رنت ضحكتها اللطيفة ذات يوم عند سماعها قطعة فكاهية كنت أقرأها ، دعوت فلورنس لتجلس معها وخرجت مسرعاً من الغرفة لأجفف دموعى

ثم خرجت جيني معى بعد ظهر أحد الأيام لنجمع البيض من المخزن ، وكان ذلك بعد الحادث بشهرين على التقريب ، وقد شعرت بشىء من السعادة عند ما رأيت لون الحياة يعود تدريجاً إلى وجنتى ابنتى النحيلتين

ولما اقتربنا من بيت الدجاج مررنا بحجرة جديدة للدريس كنت قد اشتريتها فى أثناء مرض جيني .

فصاحت الفتاة بصوت مبتهج :

— ها قد اشتريت بحرفة جديدة ! الحق أنها لطيفة فمن أين اشتريتها ؟

فقلت فى غير اكتراث :

— من فوربس

فلم تكد تسمع جوابى حتى ضغطت يدها يدى متشنجة، فلما نظرت إليها فى قلق مفاجئ أزعجنى أن أرى وجهها وقد علاه شحوب الموت ، وقد ترنحت حتى ليخيل إلى أنها ستسقط على الأرض ، فركعت فى الحال على ركبتى بجوارها وطوقتها بساعدى وقلت فى ترفق ولطف :

— ماذا أصابك يابنيتى ؟ أتستطيعين أن تخبرى أباك ما هنالك ؟

قالت لحظة مستندة إلى كتفى ثم رفعت رأسها ونظرت إلى، واطمأننت عندما رأيت عينيها تستردان حيويتهما ... وقد قالت فى هدوء :

— نعم أريد أن أقول لك يا أبى ، فلقد كان هو مستر فوربس

واضطربت قليلاً عند ما ذكرت اسم الرجل ، وأطبقت عينيها فى شدة كما لو كانت تريد أن تتقى رؤية حلم مخيف

ولما كان الأمر غريباً كما يبدو فإننى لم أستطع أن أفكر فيما عساها قصدت بقولها . فلم يكن مما يصدقه العقل أن يرتكب « ألك فوربس » مثل هذه الجريمة الوحشية ... نعم كان ذلك مستحيلاً فى نظرى . فسألتها فى هدوء :

— أو أنت واثقة يا جينى ؟

فأجابت وهى لا تزال مغمضة عينيها :

— نعم يا أبى

فسألتها فى لطف :

— أتحبين أن تخبرينى بما حدث ؟ خبرينى مرة واحدة يا جينى وأنا أعدك ألا نتحدث عنها بعد ذلك أبداً

ونظرت إلى نظرة أجرت الدمع من عينى وقالت :

— لقد كنت أسبح ثم خلعت لباس السباحة ووضعته فى الشمس ليجف وجلست محتضنة ركبتى أنظر إلى السمك ... وفى هذه اللحظة حضر الرجل وكان يحجب وجهه بقناع أسود فلم أعرفه

وكان صوتها ثابتا ولكننى استطعت أن أحكم من الحال المحزنة التى ضغطت بها يدى على مبلغ ما كانت تكلفها هذه الكلمات من العذاب ومضت تقول :

— وبعد لحظة انزاح القناع عن وجهه ، وكان قد بدأ يبتعد عنى ، فعرفته ولكننى لا أظن أنه عرف أننى رأيته ... ولقد صحت أناديك يا أبى ولكنه ضربنى

فجهدت فى تملك شعورى وفى الاحتفاظ بصوتى ثابتاً غير مرتجف وقلت :

— حسن يا بنيتى . وكفى فما أريد أن تحدثينى بشىء بعد ذلك

ولقد أردت أن أصيح وأثور لأنفس على صورة ما عن الشعور المكتوم فى نفسى ... ثم وجهت الحديث وجهة أخرى فقلت :

— هل علمت أن بروكى قد اشترى عجلاً صغيراً ؟ ألا فلنذهب إليه ونتفق على تسميته

وفى تلك الليلة انتظرت حتى نامت جينى وأخبرت فلورنس بما علمت

فقالت امرأتى مندهشة :

— فوربس .. ما أظنك تقصد ألك فوربس ؟

فقلت فى هدوء :

هذا هو الذى قالته جينى، وإنى لأعلم أنها قالت الحقيقة

ثم قصصت على امرأتى جميع ما سمعت من الفتاة فبكت الأم المحزونة على ابنتها

وجلست أنا وامرأتى نتصور ما يمكن أن يكون قد حدث . فاعتقدنا أن فوربس قد وقف فى اليوم الذى تحدث إلىّ فيه ورآها وهى ذاهبة إلى بركة السباحة ، ثم تسلل بين الغصون وراقبها ؛ ولعله فكر فى الاعتداء عليها فى تلك الليلة نفسها . ثم جاء فى اليوم التالى عن عمد وسبق إصرار ، وإلا فلماذا أحضر معه القناع الأسود ؟ وعند ما جلست جينى هناك على الشاطئ محتضنة ركبتيها فى براءة وطهر ناظرة إلى سمك اللوت فى البركة ، افترسها ذلك الافتراس الوحشى

وطال حديثى أنا وزوجتى فى تلك الليلة مجتهدين أن نقرر ما يجب علينا عمله ، فقد كنا متفقين على أنه لا بد من عمل شىء ما . إذ يجب ألا يترك فوربس طليقاً إذ من المحتمل أن يعتدى على فتيات أخريات بريئات . كذلك يجب أن يغادر هذه النواحى كلها . فقد علمنا أن جينى لن تعود إلى حالتها الطبيعية مادام هذا الرجل يحوم فى أرجاء المقاطعة . ومع ذلك لم يخطر لنا ببال أن نخبر إنساناً ما بما حدث ، بل كنا متفقين على أن ما يعمل يجب أن يعمل بطريق خاصة وبأسلوب لا يحمل أحداً على أن يدرك أن لنا علاقة به . وذلك حرصاً على مصلحة جينى

فاقترحت أن أحمل البندقية وأذهب إليه فى بيته فأقتله كما يقتل الكلب فإنه هو لم يكن غير كلب حقير ولكن فلورنس هزت رأسها وقالت فى صراحة :

— وإذن تصبح قاتلاً ، فلا تكون خيراً منه . ولن يكون أب جينى قاتلاً

وهكذا اتفقنا آخر الأمر على معاقبته بالضرب . ولقد كنت أكبره فى السن بعدة سنوات ، ولعلى لم أكن فى مثل قوته الجسمية ، ولكن لم يخطر لنا قط أن هذا قد يكون داعياً إلى فشلى فيما اعتزمت

وألحت فلورنس على فى أمر واحد إذ قالت :

— احمله على الاعتراف يا ماك قبل أن تنتهيا من المعركة ، فأنا واثقة من أن جينى تعرف ما تقول ولكن يجب أن نعرف نحن

ولقد كان تصرفى بالفعل خيراً حتى مما اتفقنا عليه ، فلقد كان الغسق قد هبط عند ما وصلت إلى حانوت فوربس فى مساء أحد الأيام ، وكان هو يغلق الحانوت ولم يكن فى الطرقات إنسان .

ففتحت باب سيارتى وقلت له :

— ألديك بضع دقائق تصحبنى فيها إلى أرض كروكر ، فإنى أفكر فى ابتياع قطعة أرض هنا فى البلدة وأريد أن أعاين تلك الأرض

ولا أظن أنه تردد مطلقاً ، وما من شك فى أنه كان واثقاً من زمن طويل بأن جينى لم تعرفه يوم اعتدى عليها ، فقد ذهبنا إلى حانوته عدة مرات بعد ذلك الحادث

فأجابنى مرحباً :

— نعم بلا شك ، فإنه ليسرنى أن أصحبك إلى هناك ، وهل تفكر فى نقل مسكنك إلى البلدة ؟

فاجتهدت فى ضبط عواطفى وجاوبته جواباً طبيعياً ومضينا بالسيارة ، وفى أثناء اتجاهنا إلى أرض كروكر تظاهرت على حين فجأة بأننى أفكر فى أرض « ميزور » فسألته أيوافق على الذهاب إليها

أولاً وبعد ذلك نستطيع أن نقارن بين القطعتين فيما يتصل بمساحتيهما . فوافق على رأيي موافقة تامة ، ولقد استطعت أن أحبس عواطفي حتى أننا كنا نتحدث حديثاً عادياً . على أنني لم ألبث أن تبينت أنني لا أكاد أفهم ما يقول ، ولم أعد أعرف ما يقول فقد كان رأسي ثائراً وكنت أسرع بالسيارة أكثر مما قصدت

وإني لأظن الآن أنه قبل أن نصل إلى أرض « ميزور » بمسافة طويلة قد أدرك أن هناك شيئاً غير عادي لأنه هو أيضاً قد لزم الصمت . وعند ما وقفنا آخر الأمر أمام الأرض لاحظت أنه تلمس الباب قليلاً قبل أن يستطيع فتحه ، فدرت حول المربة وجئت إليه ، وإذا لم يكن قد أدرك شيئاً من قبل فقد أدرك الآن مما كان بادياً على وجهي ، فإنه وإن يكن الظلام قد بدأ يهبط سريعاً فقد رأيت أن لون وجهه قد استحال إلى لون وجوه الأموات ، وقد تراجع داخل السيارة واجفاً قبل أن يغادرها . وقال في لهجة مضطربة :

— ماذا تريد ؟

فقلت وقد دهشت لما بدا من ثبات كلماتي في حين كان قلبي يدق دقاً عنيفاً وكان رأسي كأنه يلتهب ناراً :

— لا أريد إلا أن تعلم أنني أعرف من هو الكلب القذر الذي اعتدى على ابنتي الصغيرة ، لذلك سأضربك شر ضرب أصيب به إنسان من قبل . وإني لأقصد أن أتركك عاجزاً عن الاعتداء على أية فتاة أخرى ، وأن أحملك على مغادرة هذا القسم من البلاد

فصاح قائلاً إنني مجنون ، وحمل عليّ حملة وحشية ، فاستولى عليّ فرح جنوني إذ لم تعد بي من حاجة لأن أنتظر ثانية واحدة ، وإن لم يبق هناك ما يمكن أن يصدني عنه ، فإني أستطيع أن أضربه وألكمه وأثب عليه وأن أنفس عن النبض الذي ملأ نفسي ولقد تفوقت عليه منذ اللحظة الأولى وإن يكن قاتل بحماسة الذي يدافع دفاع المجنون . ولكنه كان آخر الأمر يدافع عن حياته ، ولكني كنت أدافع عن حبيبي وعن كل فتاة مثلها عاجزة عن الدفاع عن نفسها .

وبعد لحظة سقط على الأرض رافعاً يده يحمي بها رأسه وهو يعوي كبعض الحيوان ، فقلت :

— أتريد أن تقول إن ما قلته لك هو الحقيقة ؟

ولعله ظن أنه إذا قرر الحقيقة فسأتركه فقد بدأ يتكلم في لهجة متقطعة مضطربة تتزاحم كلماته وهو يحاول إخراجها من بين شفتيه فقال :

— نعم هذه هي الحقيقة ! ولست أدري لماذا فعلت ما فعلت ، لقد كنت في غير صوابي . فاتركني وشأني يا مستر مالك ، وسأغادر المنطقة ، وأبتعد عنها في الحال . فأرجو أن تتركني

فسألته :

— أتذكر كيف توسلت إليك ابنتي الصغيرة طالبة الرحمة

ثم انهلت عليه من جديد بالضرب القاسي ، وأخيراً توقفت عن الضرب ، وقد رقد الرجل كتلة جامدة وقد التوت إحدى ساعديه في عنف تحت جسمه ، وكان الدم يسيل منه . ووقفت لحظة مترنحاً أتنفس في صعوبة ، ثم انحنيت فوقه وتوكدت أن قلبه لا يزال ينبض

وكانت إحدى عيني قد ورمت وانطبق الجفنان انطباقاً تاماً ، وقد أصيب وجهي وشفتاي بجروح

أخذ الدم يسيل منها . فعدت إلى البيت بأسرع ما استطعت وهناك وجدت فلورنس فى انتظارى ، فلما رأتنى صاحت :

— حمداً لله إذ عدت سالماً

ولما دخلت جيني غرفتى فى صباح اليوم التالى اصفر وجهها لما شهدت من حالى ، فأجلستها فلورنس على السرير بجوارى وروت لها ما حدث، فبدا على وجهها الجمود والثبات

وقد قالت لها أمها فى لطف :

— لم يكن بد من أن يفعل أبوك ذلك يا جيني لا لأن الرجل يجب أن يعاقب فقط ، ولكن لكى تفهمى أيضاً أنه وحشى وأنه لا يجب حتى أن يعيش فى هذا العالم حيث يعيش الرجال الأطهار المحترمون أمثال أبيك . فإذا أنت ذكرت هذا الحادث فاذكرى أن ليس فى الوجود كثيرون من أمثال مستر فوربس وأن الرجال الذين ستعرفينهم والذين قد يتزوج أحدهم منك آخر الأمر هم من الأطهار مثل أبيك

وذهبت جيني إلى المدرسة نصف السنة الباقى وكانت سعيدة بين صاحباتها السعادة كلها .

وجهدنا فى أن ننسيها ما حدث ، وأن نعيدها إلى حالتها الطبيعية، ولم يكن الحادث قد انتهى بحال من الأحوال ... ففى السنة التالية كانت فلورنس تذهب وحدها إلى البركة كل يوم مدى ثلاثة أسابيع بينما كانت جيني تلازم البيت ، وقد بدا على وجهها جمود غريب ... وكانت فلورنس كلما عادت بعد الاستحمام وصفت منظر البركة فى صورة بديعة ... وأخيراً عندما كانت تتأهب للذهاب فى أحد الأيام كعادتها قالت جيني فى استحياء :

— أظن أنه يحسن أن أذهب معك اليوم .

وفى وقت قصير ، بدأت الفتاة تنعم بحمامها كما كانت من قبل ، ولكن فلورنس أخبرتنى أنها لم تكن تخلع ملابسها على الشاطئ كما كانت تفعل قبل الحادث ، فقد كانت تتسلل داخل الأغصان ، وتغير ملابسها بأسرع ما تستطيع .

وبقيت مدة طويلة لا تدخل الحانوت الذى كان فوربس يملكه فى الماضى ، بل كانت تنتظر فى السيارة إذا أرادت منه شيئاً ، وكان الذى يتولى أمر ذلك الحانوت فتى أنيساً أحمر الشعر محباً للأطفال ، وكان إذا حضرت خرج إليها وتحدث معها ، وبعد فترة من الزمن أنست الدخول إلى الحانوت واللعب مع الفتى مرحة مبتهجة ، بل وكانت تبقى هناك أحياناً بينما كنت أنا وأمها نذهب إلى مكان آخر . وهذا الفتى نفسه الذى كنا نسميه « ساندى » قد أصبح فيما بعد زوجها !

ولاحظنا أن هناك بعض الذكريات التى لم تستطع جيني أن تنساها مدى أعوام طويلة، ولكننا لم نكن لنشير إليها ولو بطريق غير مباشرة ، وبدا على الفتاة أنها تعيش مبتهجة سعيدة .

وكما قلت من قبل قد ترك فوربس البلدة عندما استطاع أن يتحرك ويسافر ، يحمل ساعداً مشلولة عن كل حركة ، وقد تحطمت صحته حتى أن الدكتور مونتروز قال لى مرة إنه يخشى ألا يعود فوربس أبداً رجلاً سليم الجسم قادراً على العمل . ومضى الطبيب يقول :

— أتدرى يا مالك أننى أظن أن هناك شيئاً أكثر مما رواه لى فوربس فيما يتصل بالحادث الذى وقع له . فما من شك فى أنه يعرف سبب ذلك الحادث فقد حدث فى أحد الأيام بينما كان فى المستشفى وكانت

حالته سيئة أن أخذ يصيح : « لا تضربنى ! فأنا لا أدرى لماذا فعلت ذلك . وإنى لن أمسها مرة أخرى » ، والحق أنى لا أود أن أعرف ماذا فعل .

وفى الليلة التى سبقت زواج جيني خرجت معها فى رياضة على الأقدام ثم جلسنا على كتلة من الخشب نتبادل الحديث . فقالت على حين فجأة :

— أتظن يا أبى أنه يحسن بى أن أخبر ساندى بقصة مستر فوربس ؟

فسألتها :

— ألم تخبريه ؟

فقالت :

— لا ... وقد يصعب عليك أن تصدق ذلك يا أبى ولكننى لم أفكر فى الأمر عند ما خطبنى . وبقيت فترة طويلة لا أفكر فى ذلك . ولكننى فكرت فيه أخيراً وظننت ...

وهنا تقطع حديثها وبكت فأحنيت رأسى وبكيت أنا أيضاً . فهل يمكنك أيها القارئ أن تتصور شعورى عند ما أخبرتنى أنها لم تفكر من قبل فى الأمر زماناً طويلاً ؟

وقد قلت لها فى حذر :

— أظن أنه من الخير ألا تخبريه . فسيحزنه الأمر ويجرحه إلى حد بعيد ، ولن يزيدك ذلك سعادة . وما أستطيع أبداً أن أرى أية فائدة فى قول أشياء لا تؤدى إلا إلى جرح بعض الناس

فتنهدت الفتاة تنهداً طويلاً . وصاحت :

— آه ... إنى لمسرورة إذ ترى هذا الرأى . فإنى لم أرغب فى أن أخبره ، ولكننى ظننت أننى قد أكون عندئذ جبانة

ثم مضت تقول :

— أليس غريباً أننى استطعت أن أنسى هذا الأمر نسياناً تاماً على هذه الصورة ؟ وأظن أن السبب فى ذلك هو أن إنساناً ما غيرنا لم يسمع بالخبر . فليس هناك ما أخشاه من أى إنسان أجنبى ، وأنت وأمى لم نتحدثا به قط . وهل تدرى أننى إذا قرأت الآن فى الصحف عن أمر كهذا وجدت أن الأمر جد فظيع ، وأننى لم أكن لأحتمل الحياة لو أن الناس عرفوا بما حدث

فقلت فى صوت أجش :

— يمكنك أن تشكرى لأمك فضلها فى الطريق التى عولج بها الأمر كله ، فلو أن الأمر ترك لى لما وفقت فى علاجه بمثل هذه الحكمة . وأظن أنك أنت وأنا مدينان لها بكل ما يمكن أن نتمتع به من سعادة

عبد الحميد حمدى

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنها ١٥ قرشا